

لماذا هذا الاهتمام الكبير فيما يتعلق بالتلفزيون والأطفال..؟

من اللحظات المبكرة في حياتها ، كان التلفزيون هناك ، أمام ابنتي ، وإن لم تعرفه بشكل سريع ، لقد كان ذلك الجهاز الرائع جزءاً من عالم ابنتنا الصغرى هذه حين دخلت الحياة من خمس سنوات مضت .

لقد كان بيت «جيسيكا Jessica» -ابنتي- مثل معظم البيوت التي حوله . . لا يكاد يختلف عنها ، فلقد خصصت به حجرة كاملة يشار إليها دوماً على أنها «حجرة التلفزيون The TV Room» . . . ولقد امتلأت هذه الحجرة بقطع الأثاث التي برزت من بينها قطعة رمادية نظمت حولها القطع الباقيات لتناسب الجلسة حول جهاز التلفزيون .

وخلال ساعات من وصول «جيسيكا» إلى المنزل* كان هذا الجهاز المثير ذو الصخب العالي قد شد انتباهها ، ومما لا شك أنه يسلينا ويملاً أوقات فراغنا بحياة خاصة مثيرة زاهية الألوان لا يستطيع أن يقدمها جهاز آخر . وليس عجباً أنني

* يقصد المؤلف وصول ابنته من المستشفى ، حيث وضعتها أمها هناك ، مثل كل النساء الأمريكيات .

وزوجتي كان علينا أن نقرر: هل سندع جهاز التلفزيون كي ينشئ ويرعى ابنتنا «جيسيكا»، ويصبح أفضل أصدقائها، وكان علينا أن نفكر فيه وفي أمره معها، هل سيوسّع خبرتها ويعمقها، أم أنه سوف يسرق شبابها. . ؟

حقاً، إن التلفزيون كان هناك. . منذ البداية، تماماً كما هو الوضع العادي بالنسبة لأطفال الأمة الأمريكية، حيث هو معهم منذ أيامهم الباكرة، كما أن هناك مجلة صغيرة، تسمى دليل التلفزيون TV Guide*، وهي تعد جزءاً من البيئة المحيطة بمعظم أطفالنا كذلك. وهي مجلة تتغير كل أسبوع، وتدخل البيوت الأمريكية أكثر من أية مجلة أخرى.

لقد عودنا أبناءنا على أن يأكلوا في حجرة معينة، حيث ندهم بصوان مستطيلة للطعام، ورغم عدم مناسبتها أصبحت ملازمة للجلوس أمام التلفزيون، بحيث نطلق عليها «صواني التلفزيون TV Trays». ولقد كان أطفالنا الصغار -قبل ذلك- يرحفون من تحتها، أو يلعبون من فوقها، أما الآن فاستخدامها الأساسي هو لتناول الطعام عليها أمام التلفزيون.

* هي مجلة من القطع الصغير، وقد تصل مائة صفحة، وهي تشتمل على جميع برامج التلفزيون التي تقدمها محطات التلفزيون المختلفة، وأوقات بثها. .
الترجم.

وفي غالب بيوتنا نجد أن هناك جهازاً آخر للتلفزيون، ويكون في العادة أصغر من الجهاز الأول، ويوضع في حجرة النوم، وأعترف أنني أنا وزوجتي قد عرفنا أننا نتناول في مناسبات عديدة طعام العشاء على صواني التلفزيون هذه، بل أكثر من ذلك في الليلة نفسها التي نتناول فيها هذا العشاء، قد نتناول -في وقت متأخر- وجبة أخرى خفيفة من الطعام السريع Snack .

وعلى أي الأحوال، لا أعد نفسي، وكذا أطفالنا الثلاثة غير مدمنين للتلفزيون TV addicts، على الرغم من أنهم نشئوا في عصر الفيديو، ولكنني أشاهد التلفزيون بعض الوقت، وكذا هم يفعلون .

ونتيجة لهذا الوضع أعتقد أنني في موقع طيب يسمح لي بأن أتحدث عن التلفزيون والأطفال معاً، بطريقة أفضل من كثير من الكتاب الذين يكتبون عن هذا الموضوع، في حين أنهم لم يشاهدوا تلفزيوناً ولم يتعاملوا مع أثره في حياة الأطفال .

إن التلفزيون جهاز ذو إغواء كبير، كما أنه مجاني ومتاح للجميع دون استثناء، وعوامل جاذبيته وإغرائه غير محدودة.. وهي لا تتحدد بالإقليم، ولا بالسن، ولا

بالمستوى الاقتصادي أو الاجتماعي . . إنه متاح لأصغر أطفالنا أعماراً، وهو كذلك بالنسبة لأكبر مواطنينا سناً، متاح للأصم وللأعمى على السواء . بل إن الأفراد القلائل في مجتمعنا الذين لا يشاهدون التلفزيون - وهذا أمر مدهش - يعرفون الكثير عنه، ومن هنا نقول: ليس هناك فرد لم يتأثر به، أو يمكن أن يكون غير واع به وبما يمثله .

ولتحدث على سبيل المثال عن المسلسل التلفزيوني الأخير M.A.S.H أو عن حلقاته الأخيرة التي بثت عام ١٩٨٣م، إذا لم نكن قد شاهدنا الحلقة مرة واحدة في الأسبوع، فمن منا لم يقرأ ما كتب عن تلك الحلقات في الجرائد والمجلات؟ أو من منا لم يستمع إلى أغاني تلك الحلقات من أجهزة الراديو؟ بل أكثر من ذلك من منا لم يشاهد الأشياء التذكارية عن الحلقات نفسها والتي كانت تباع في المحلات، بل إننا شاهدنا كثيراً من الناس وقد ارتدوا قمصاناً خارجية قصيرة الأكمام، وعليها شعار مسلسل M.A.S.H وقد توجهوا لحضور حفلات خاصة أقاموها لهذا المسلسل . أنا شخصياً لم أشاهد الحلقات الأخيرة من هذا المسلسل، ولكنني على وجه اليقين كنت واعياً بأنها أذيعت من خلال ما سمعت وما شاهدت حولها .

إن من نشاطاتي المفضلة مع الشباب الصغار (يمثلهم طلاب المرحلة الثانوية) أن أستقصي إذا كان بين جماعاتهم شخص واحد لا يشاهد التلفزيون نهائياً، أو يشاهده قليلاً .

و حينما أعرثر على ضالتي من هؤلاء أسأل الشخص أو الشخصين اللذين يقولان إنهما لا يشاهدان التلفزيون : هل سمعا عن «كوجاك Kojak»*؟ فتأتيني الإجابة بأنهما يعرفانه ، فأطلب منهما وصفه . . فيصفانه . . !! وحينئذ أسألهما أن يكملا عبارات معينة حذفت منها كلمات مثل :
«أنا أحب . . .» .

«مورك Mork و . . .» .

« . . . المخاطرات» .

ولقد كانا يجيبان عن هذه الأسئلة الثلاثة إجابات صحيحة ، وكنت في بعض الأحيان أطلب منهما أن يستخرجا صورة «جي . آر . يوينج J. R. Ewing»** من بين عشر صور أخرى ، وكانت تأتيني إجاباتهم صحيحة . .

* ممثل أمريكي شهير ، وصاحب حلقات بوليسية تذاغ أسبوعياً .
** ممثل أمريكي أشهر ، وصاحب حلقات تليفزيونية اجتماعية تسمى Dallas ، وهي تذاغ أسبوعياً منذ نحو عشرين عاماً إلى الآن ، وقد غطت شهرتها وبثها جميع أنحاء العالم تقريباً . . المترجم .

في المرة الثالثة، وهؤلاء هم الطلاب الذين كانوا يقولون: إنهم لا يشاهدون التلفزيون، وأعتقد أن النقطة التي نريد تسجيلها هنا قد أصبحت واضحة تماماً من إجابات هذه المجموعات من الطلاب، وهي أنك لا تحتاج لمشاهدة التلفزيون من أجل أن تعرف عنه أموراً كثيرة.

إن كثيراً من البالغين يظنون أن الأطفال يشاهدون التلفزيون أوقاتاً طويلة، في حين أن الإحصائيات تبين أن ذلك الوضع يختلف ويتفاوت طبقاً لدراسات عدة أجريت، وعلى الرغم من أن الإنسان قد ينظر إلى هذه الإحصاءات على أن بعضها يقلل من هذه المشاهدة كان هناك شبه إجماع على أن الأطفال الأمريكيين ينفقون كثيراً من الوقت أمام الشاشة الصغيرة.

أما تقديري أنا لهذا الموضوع (وهو للعلم مبني على تركيبات مؤلفة من بين تقديرات ومسوحات عدة) فهو أن الأطفال الأمريكيين «يشاهدون» التلفزيون بمعدل مقداره خمس أو ست ساعات يومياً، وأن الأطفال الأصغر منهم تكون مشاهدتهم أكثر ممن يكبرونهم، وسوف نفصل ذلك الأمر فيما بعد، وبخاصة فيما يتعلق بعبارة «مشاهدة التلفزيون».

أما الكبار الناضجون فإن هناك تقديراً معقولاً يقول :
إنهم يشاهدون التلفزيون يومياً بمعدل أربع ساعات .
والواقع أن مثل هذه التقديرات تخيفني . . لأنها تمثل
«متوسطات Averages» ، ولأننا نفترض كذلك أن هذه
المتوسطات صحيحة أو دقيقة ، حيث إنه في مقابل كل
مشاهد معقول أو خفيف (المشاهدة) ، أي يشاهد ساعة أو
ساعتين يومياً ، فإننا بالقطع سوف نجد أن هناك عدداً من
المشاهدين الذين يشاهدون التلفزيون أوقاتاً طويلة جداً .

ولكن لماذا يقضي الكبار والصغار وقتاً طويلاً -هكذا-
أمام جهاز التلفزيون . . ؟ لعل الإجابة عن هذا السؤال تأتي
مما لاحظته في حالة أبنائي أنا . إن ابنتي «جيسिका» قد جذبتها
ذلك الجهاز حتى قبل أن تكمل العام الأول من عمرها ،
فحينما كنا نتركها تتدحرج وحدها على أرضية الحجر ،
ألاحظ أنها كانت تتدحرج باستمرار في اتجاه التلفزيون
حينما يكون مضاء (مفتوحاً) ، بل أكثر من ذلك أنها كانت
بعد أن تتدحرج في اتجاهه . . كانت تركز عينيها عليه
وتشاهده . لقد كانت هناك لعب أطفال كثيرة حولها في
الحجرة ، كما كان هناك من أفراد العائلة من يمكن أن تنجذب

إليهم، ولكنها تركت كل ذلك وتحولت إلى أسيرة لجهاز التلفزيون وأصواته وصوره الملونة والمتحركة، كما يبدو أنها كانت مسرورة بالأصوات الصادرة منه .

إنني أعتقد أنها كانت تشاهد التلفزيون لأنها أحببت ما رأت وما سمعت، وحينما تحققتُ من ذلك أعتُرف أنه قد سبب لي بعض الخوف، وإن كان ذلك قد ساعدني كثيراً جداً في فهم الحقيقة المتعلقة بكثرة مشاهدة الكبار أنفسهم للتلفزيون، إنهم - كذلك - ينجذبون إليه . . بل هم - في واقع الأمر - أسرى له، لأنهم يحبسون فيما يشاهدون .

إننا ينبغي علينا أن ندرك أن هناك أناساً أذكىاء جداً، بل موهوبين حقاً لأنهم توصلوا إلى معرفة ما يجذب الناس للمشاهدة، وهؤلاء الأفراد هم الذين يقررون ما نشاهد على شاشات التلفزيون لأنهم يعلمون ما نريد وما نتحمل . وسوف نناقش هذا الجانب فيما بعد .

كذلك ساعدتني ابنتي الكبرى على أن أفهم : لماذا يقبل الأطفال بشغف وبكثرة على مشاهدة التلفزيون . إن إدارة مفتاح ذلك الجهاز العجيب تعد عنصراً جاذباً لهم أكثر من أي شيء آخر يمكن أن يفعلوه . إنني أعاني كثيراً من تقلب ابنتي

الكبيرتين في مرحلة مراهقتهما المبكرة، وأعرف أنهما تميلان إلى كثرة مشاهدة التلفزيون، وبخاصة حينما تكونان مهمومتين وتشعران بالملل، ولا تحسّان بأنهما في حالة طيبة. (إن كل الذين مروا، أو يمرون بتجربة تنشئة أطفال كبار في سن المراهقة يفهمون أن كل الأمور السابقة -الشعور بالهم والملل وعدم السعادة- يمكن أن يمر بها المراهق خلال ساعة واحدة في الوقت نفسه الذي ينقلب منها جميعاً إلى الإحساس بالطاقة غير المحدودة والفرح)!!..

إن هؤلاء المراهقين -بأحوالهم هذه- ما لم يتجهوا إلى التلفزيون - سوف يتجهون لأشياء أخرى في حياتهم. إن شباننا يتجهون إلى التلفزيون ساعات قليلة بدلاً من أن يتجهوا لتلك الأشياء الأخرى يشغلون بها أنفسهم وأوقاتهم، إنهم بذلك يشغلون أيامهم، ويقضون معظم شبابهم، وهم يعيشون عن هذا الطريق حياتهم.

إن التلفزيون -في واقع الأمر- يقوم بعدد من الوظائف في حياة الطفل.. أي طفل، فهو يقوم بدور «جليسة الأطفال Babysister» وهذا دور شائع له، ولا يطلب أي شيء في مقابل ذلك، يساعد الصغار والكبار على أن يسترخوا ويستريحوا ويهربوا من مشكلاتهم. إنه يلطف الجو

من حول الإنسان ويهدئه، ولكنه -في نفس الوقت- يجعلنا نغمس في حياة الآخرين بدرجة كبيرة حتى إننا قد ننسى المواقف المؤلمة أو المشكلات المتعلقة بحياتنا نحن .

إن التلفزيون يمكن أن يشكل خلفية Background لكل شيء يقوم به الأطفال . وإنه صوت مؤنس في بيت موحش ، وهو عنصر أمان للأطفال يكونون وحدهم . إنه يقدم للأطفال ما يريدون ، وهو في الوقت ذاته يجعلهم يريدون ما يقدم . إنه يستجيب لحاجات كثيرة ومتنوعة عن طريق الرسوم الكرتونية المتحركة ، أو عروض الألعاب ، أو المسرحيات التلفزيونية التي تعالج المشكلات الاجتماعية Soap Opera ، أو عروض الأحاديث المختلفة ، أو المسلسلات التي يقوم بها رجال البوليس السري ، أو من خلال المواقف الكوميديّة الضاحكة .

إن النوعية الضعيفة لبرامج التلفزيون تثير اهتمامات كثير من الكبار الناضجين ، حيث إن هناك إجماعاً بين النقاد على أن كثيراً جداً مما يعرض على الشاشة الصغيرة ليس طيب المستوى كما يشاهده أي إنسان ، وهو -تأكيداً- غير طيب على الإطلاق للأطفال كي يشاهدوه . وأنا أتفق مع هذا الإجماع .

إن أفضل طريق لتجميع الجماهير من المشاهدين هو أن يستجيب التلفزيون لحاجات المستوى الأقل من الطبقة الوسطى The Low Middle Class وأن يقدمها لهم وهو آمن (من نقدهم). وهناك الكثير من الأدلة على أن صناعة التلفزيون قد نجحت في هذا، ومن أوضحها العدد الهائل من مشاهدي الطبقة الوسطى الذين يتجمعون حول أجهزة التلفزيون.

إن التلفزيون يقدم لنا كمّاً هائلاً من برامجه كل يوم، بمعدل ١٨ ساعة يومياً، على مدار ٣٦٥ يوماً. أي طول العام، وكل هذا تتنافس فيه محطات الإرسال الرئيسية وشبكات التلفزيون (السلكي) Cable*. وإذا ما فكرنا بواقعية في هذا الكمّ الهائل من ساعات الإرسال التلفزيوني فإنه لا يمكن أن نتوقع أن يكون كل ما يعرضه التلفزيون جيد النوعية.

وعلى كل حال فمعظم الكتب التي تنشر خلال عام هي

* وهذه شبكات خاصة لا يصل إرسالها للمشاهدين إلا لمن يشترك فيها، ويسدد قيمة الاشتراك شهرياً، بعد توصيل شبكتها لجهاز التلفزيون، وبها كم هائل من البرامج السياسية والاجتماعية والرياضية والأخبارية. . وغير ذلك مما يحسن عدم ذكره لشناعته. .!! المترجم.

في الواقع غير جيدة، كذلك قطعُ الموسيقى والفن المنتج خلال عام هي أقل من أن تذكر أو تتذكر. وفي أي الأحوال الحقيقة التي لا يمكن إغفالها هي أن التلفزيون حاصر في حياتنا، وهو متاح دوماً وجزء أساسي في حياة أطفالنا، وهم يشعرون أنه جذاب لهم جداً، بصرف النظر عما نعتقده نحن من حيث نوعية برامجهم، والأطفال يشاهدونه بكم هائل من الساعات التي تسترعي الانتباه. . كل يوم.

ماذا يقلق المعلمين في موضوع التلفزيون والأطفال؟

إن المعلمين يشاطرون أولياء الأمور قلقهم وهمومهم بشأن طبيعة التلفزيون المنتشرة بشدة، وبشأن قدرته على جذب المشاهدين وإبقائهم أمامه، وكذا بشأن نوعية برامجهم. وبعيداً عن هذه الملاحظات العامة، وأعمق منها، نجد أن المربين ينظرون إلى التلفزيون على أنه مشكلة حقيقية في حياة الأطفال في أمور واضحة ومحددة، أمور تتعلق بالتعلم وبالتفكير، فمدرسو المرحلة الابتدائية خاصة يشكون من أن تلاميذ مدارسهم لا يمكنهم الجلوس هادئين في فصولهم هذه الأيام، وأن فترات انتباههم قد أصبحت أقصر كثيراً مما كانت